مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الـ٤٤، خريف ١٣٩٦ هـ. ش/ ٢٠١٧ م؛ صص ١١٢-٩١

السيرة الذاتية المتخيّلة وعناصرها في رواية "ألواح" لرشيد الضعيف

فاطمة برجكاني*

استاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٥/٠٩/٢٥ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٦/٠٣/٢٠

الملخّص

الرواية هي سرد خيالي تأخذ مادّتها من أحداث وشخصيّات حقيقية أو خيالية. وفي السيرة الذاتية يلجأ الكاتب إلى قصة حياته. ومن هنا نحن أمام العلاقة الإشكالية بين السيرة الذاتية والرواية. الأمر الذي أحدث نوعًا أدبيًّا جديدًا هو السيرة الذاتية المتخيّلة. رشيد الضعيف روائي لبناني يتّجه في معظم رواياته نحو التخييل الذاتي أو السيرة الذاتية المتخيّلة أي أتوفيكسيون، منها روايته الأخيرة "ألواح" حيث يسمّي شخصيتها الرئيسية على اسمه. وهي تتشكّل من لوحات ومشاهد مختلفة تتطرّق إلى مواضيع شخصية وعائلية إلى جانب مسائل اجتماعية وسياسية.

يدرس هذا المقال عن طريق المنهج الوصفي . التحليلي ومن خلال علم السرد في السيرة الذاتية المتخيّلة، العناصر التي كوّنت الرواية ويتطرّق إلى أبرز العناصر التي تميّزت بها رواية رشيد الضعيف، من الجرأة والالتزام والهزء والسخرية من الذات، كما أنّ الكاتب يتنقّل في روايته بين أنا الروائي الحقيقي وأنا الراوي.

ومن أهمّ ما وصل إليه البحث هو أنّ السيرة الذاتية المتخيّلة من الناحية الوظيفية هي نوع من اعتراف يدخل فيه الشكّ لأنّه لا يمكن اعتباره حقيقة تامّة، بل هو مزيج من الحقيقة والخيال. هذا الأمر يصون الكاتب أمام النقد في المجتمع الشرقي العربي؛كما أنّه لا يمكن التطابق التامّ بين ما حدث للروائي في حياته الشخصية وما يحدث للراوي خلال الرواية.

الكلمات الرئيسة: الرواية؛ السيرة الذاتية المتخيّلة؛ رشيد الضعيف؛ ألواح.

*الكاتبة المسؤولة fparchegani@gmail.com

١. المقدمة

يتّفق الكثير من النقّاد وأصحاب الفكر على أنَّ الادب، خاصّة في العصر الراهن، مرآة للحياة، حيث يعطي الفرصة الثمينة لمخاطبيه على معاينة ظاهرة الحياة وتطوّراتها ويمهّد أرضية واسعة لخالق الإنتاجات الأدبية للتعبير عنها حافظاً الأطر الفنّية. يحمل الأدب بأنواعه مسؤولية ترجيع أصداء الحياة والواقع الاجتماعي. فالرواية كنوع أدبي حديث نسبيًّا تواجه الصيرورة والتطوّر أكثر من سواها من الأنواع الأدبية. «من خصائص الرواية أنّها لا تحمل في ذاتها أيّة فروض محدّدة، فهي التي تفرض قواعدها... خلافًا لأنواع أخرى، كالشعر مثلاً الذي يحافظ على ثوابت شعرية بالرغم من تطوّره،... فهي لا قواعد لها ولا كوابح... وهذا هو السبب الرئيسي في انتشارها المستمرّ وفي تطوّرها المستمرّ لأنّ المجتمع هو أيضًا في تطوّر مستمرّ» (Marthe,1972: 24). ومن هذا المنطلق يعتبر بوتور[1] أنّ الرواية نوع أدبي غير مكتمل بحيث أنّه في تبدّل مستمرّ، وإن العلاقات التي تربط الرواية بالواقع وبالمجتمع تؤدّي حتما إلى مواضيع جديدة وبالتالي إلى أشكال مستمرة في التجدّد (Butor, 1992: 13). علاوة على ذلك، المهم، إنَّ القاعدة الذهبية السائدة على الحياة فهي اللاقاعدة؛ وفي الرواية الجديدة لايمكن لنا الحصول على شكل ثابت ونهائي، بل نحن أمام تجديد مستمرّ من دون أن ينتهي ذلك إلى الفوضويّة[2].

الرواية بمعناها الفنّي «هي مصطلح حديث العهد بوصفها جنساً أدبياً ذات بنية شديدة التعقيد متراكبة التشكيل تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكّل لدى نهاية المطاف شكلاً ادبياً جميلاً» (ابوزيد، ٢٠١٤: ٢٠٩). الرواية هي «سرد خيالي ذو طول معقول، بلغة النثر» (وادي، ١٩٨٩: ١٥٩). وهي نابجة عن خيال الكاتب، تأخذ مادّتها من أحداث وشخصيات قد تمزج بين الحقيقة والخيال. ويرى الباحثون أنّ «الرواية عمومًا هي الجنس الأكثر تحرّرًا لأنّه جنس غير مكتمل لا حدود له ولا ضفاف... فقد تخطّت الرواية قوانينها وأدواتها لتستعير من الأجناس الأدبية الأخرى تقنيّاتها وأدواتها» (مرتاض، ١٩٩٨: ١١).

1. Michel Butor
2. Anarchism

أمّا السيرة الذاتية بدأت في نهاية القرن الثامن عشر كما يرى جورج ماي، مع نشر "اعترافات" جان جاك روسو بعد وفاته (جورج ماي، ١٩٩٢: ص ٢٨). تحتاج السيرة الذاتية كما الرواية إلى قصّة، ففي السيرة الذاتية يسترجع الكاتب قصص وقعت في حياته، لكن قصّة الرواية تعتمد على تخيّل الكاتب الذي قد يستند على تجارب حياته أيضًا. فهنا تأتي العلاقة الإشكالية بين السيرة الذاتية والرواية، التي يسمّيها بعضّ النقّاد "الرواية السير ذاتية المتخيّلة" (عبيد، ٢٠١٦: ١). وتختلف الشخصية في كلّ من السيرة الذاتية والرواية من حيث أنّ طبيعة الشخصية في الأولى حقيقية، وفي الثانية خيالية. كما أنّ «السيرة الذاتية تختلف عن الرواية في أنّها تتعرّض لحياة الكاتب بشكل مباشر، يستطيع في الرواية أن يخفي شخصيته وراءها لكنّه في السيرة الذاتية يجد نفسه مواجهًا باختبار صعب كلّما وصل إلى موضوع حسّاس في حياته» (نصرالدين، ٢٠٠٩: ٣٠٩).

يحاول هذا البحث تحديد الملامح الخاصّة بالسيرة الذاتية المتخيّلة عند رشيد الضعيف ويدرس عن طريق المنهج الوصفي- التحليلي ومن خلال علم السرد في السيرة الذاتية المتخيّلة، العناصر التي تميّزت بها رواية "ألواح" ليعطي فكرة عن المكوّنات الأساسية التي لجأ إليها الروائي في تقديم روايته إلى المخاطب، ويسعى أن يجيب عن هذا السؤال الأساسي:

كيف استخدم رشيد الضعيف السيرة الذاتية ومزجها مع المتخيّل والوهمي لكي يكوّن العجينة الأساسية لروايته؟

١-١. خلفيّة البحث

إذا قارنّا بين أشكال السرد الروائي والسيرة الذاتية المتخيّلة بشكل خاصّ، نرى أنّ الأخير لم يحظ بدراسات كثيرة كسائر أشكال الرواية، إلاّ أنّ هناك بعض الأبحاث تطرّقت إلى هذ الموضوع من وجهات نظر مختلفة، يمكن الإشارة إلى "المتخيّل الإبداعي من السيرة الذاتية إلى السيرة الروائية"، لنورة الجرموني في مجلّة الرافد سنة ٢٠٠٦، الذي يدرس السيرة الذاتية المتخيّلة ضمن الجنس الروائي، ويتطرّق إلى أهمّ ما يميّز هذا النوع من الرواية. كما أنّ هناك مقالاً آخر بعنوان "السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة: دراسة في ثلاثية حنّا مينة." للكاتبة يمنى العيد نشر في العدد الرابع من مجلّة الفصول سنة ١٩٩٦، وتتطرّق فيه الباحثة إلى دراسة الوظائف التي تؤدّيها السيرة الذاتية الروائية ضمن أقسام مختلفة منها: الرؤية المعيارية، والميثاق وعامل القراءة، ورواية الذات،

حكاية تجذر الخطاب وخطاب يفتح الحكاية، وانزياحات الخطاب الروائي باتّجاه حكاية السيرة الذاتية.

"رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، دراسة نقدية تحليلية" أيضًا عنوان رسالة ماجستير ناقشها الطالب سامر صدقي محمد موسى في جامعة النجاح الفلسطينية بإشراف الدكتور عادل أبو عمشة سنة ٢٠١٠، يتطرّق فيها الكاتب إلى التداخل بين الرواية والسيرة الذاتية لدى توفيق الحكيم والظواهر الفنّية لهذا النوع من الرواية.

كما أنّه نشر مقال بعنوان "التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية "قصّة عن الحبّ والظلام" لعاموس عوز نموذجًا" لإبراهيم نصرالدين عبدالجواد دبيكي، فنشر في مجلّة كلّيّة الآداب بجامعة الحلوان عدد ٢٦٤ سنة ٢٠٠٩. يدرس الكاتب فيه إشكالية التعالق بين فنّين متشابهين في المظهر والمختلفين في الجوهر، هما الرواية والسيرة، من خلال دراسة هيكل الرواية وبنيتها.

أمّا بالنسبة إلى الدراسات الحديثة لأعمال رشيد الضعيف، فنشر سنة ٢٠١٦ كتاب يحتوي مقالات علميّة عن أعماله عنوانه " Rachid El-Daif, Le roman arabe dans la tourmente de la modernisation" (رشيد الضعيف؛ الرواية العربية في زوبعة الحداثة). تناولت مقالات هذا الكتاب أعمال رشيد الضعيف من زوايا مختلفة، منها مقال بعنوان " Oppression, dérision et autodérision dans la littérature de Rachid El-Daïf" (الظلم والهزء والسخرية من الذات في روايات رشيد الضعيف) لصبحي البستاني وفاطمة برجكاني يتطرّق إلى عنصر بارز في طريقة رشيد الضعيف السردية في بعض أعماله وهو السخرية من الذات.

أمّا دراستنا هذه فتتميّز بدارسة أبرز مكوّنات السرد في السيرة الذاتية المتخيّلة لدى الروائي من خلال روايته الأخيرة لتتعمّق فيما وصل إليه رشيد الضعيف في مسيرته الروائية، حيث إنّه بالرغم من أنّه خصّص عددًا من رواياته إلى هذا النوع الأدبي الجديد، إلاّ أنّها لم تحظ كما يجب بفرصة دراسات متخصّصة تهتمّ برصد أهمّ العناصر التي لجأ إليها الكاتب في سيرته الذاتية المتخيّلة، والتعمّق فيها.

٢. نبذة عن حياة رشيد الضعيف وأعماله الروائية

ولد رشيد الضعيف سنة ١٩٤٥ في بلدة زغرتا / إهدن في شمال لبنان. درس الأدب العربي في الجامعة اللبنانية في بيروت ونال شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون الجديدة- باريس الثالثة سنة

١٩٧٤، وكان موضوع أطروحته "أنشودة المطر" لبدر شاكر السيّاب. عاد إلى لبنان ودرس في الجامعة اللبنانية، وعند إحالته إلى التقاعد درّس ومازال يدرّس في الجامعة الأميركية في بيروت.انتمى إلى الحزب الشيوعي سنة ١٩٧٠ والتزم باليسار التقدمي وناضل من أجل حقوق الشعب الفلسطيني. أصيب خلال الحرب اللبنانية بشظايا قنبلة إصابة خطيرة ولكنّه نجا بأعجوبة.

بدأ مسيرته الأدبية بكتابة الشعر فنشر ديوان "عندما حلّ السيف على الصيف" ثمّ انتقل إلى كتابة الرواية فصدر له أكثر من خمس عشرةَ رواية. وتشكّل الحرب اللبنانية خلفية العديد من رواياته (http: //www.rachideldaif.com, 2016/10/18).

صدر حتّى الآن أربعة عشر رواية لرشيد الضعيف، إضافة إلى مجموعاته الشعرية. والرواية الأولى كانت "المستبدّ" التي نشرت سنة ١٩٨٣. ومنذ ذلك الوقت اتّبع الكاتب مساره الخاصّ في الرواية اللبنانية، المتمثّل بعصرنة السرد وانفتاح لغته، ليتمتّع بتجربة روائية فريدة من نوعها في الرواية العربية المعاصرة. لا يهتمّ رشيد بحكاية الآخرين في رواياته، بل يؤلّف حكايات عن ذاته، ويصبح الروائي هنا هو الراوي والبطل والموضوع، ومن خلال نقده لذاته، يوجّه نقده إلى الناس من حوله وإلى مجتمعه. وأمّا رواية "ألواح" فهي آخر أعمال الضعيف الروائيّة صدرت سنة ٢٠١٦. تتضمّن اثنين وعشرين لوحًا مستقلاً من حيث الأحداث وأزمنتها وأمكنتها. يبدأ الكاتب لوحه الأوّل بالتحدّث عمّا يعتقد عنه الآخرون وعمّا هو فيه في الحقيقة. ثمّ في اللوحات والمشاهد المختلفة اللاحقة يروي حكايات عن حياته الشخصية والعائلية ووالديه وإخوته وجدّه الذي حبّبه بالغناء، وعن أيّام دراسته.كما يتحدّث عن أبرز الأحداث التي تركت أثرًا عميقًا في قلبه كبتر رجل أخيه بسبب إصابته برصاصة. وإلى جانب هذه الأمور يتطرّق إلى مواضيع اجتماعية وسياسية ومشاكل المجتمع الريفي مثل قضية الثأر، إضافة إلى عالَم العواطف التي يسمّيه عالمًا بلا أخلاق وبلا مبادئ.

ولا يعتمد الكاتب فيها خطًّا مستقيمًا في سير الأحداث، بل تطلق ذكرياته بشكل متشظّ فوضوي، وكأنّها تخرج من مخيّلة الراوي بشكل لا وعي، إلاّ أنّ أجزاء الرواية تتداخل وتتسلسل بشكل يجعلها "رواية تكوين" متماسكة إلى حدّ بعيد (خيرالله، ٢٠١٦: ١٠). أمّا الشخصيات الأساسية فهي"أنا" الراوي، وعائلته بشكل خاصّ: والده وأمّه وشقيقه وحبيبته؛ كما أنّه يختتم الرواية في لوحتها الأخيرة عن يوم ولادته الذي يصادف يوم ألقيت القنبلة الذرّية على هيروشيما في ٦ أب/ أغسطس سنة ١٩٤٥.

٣. ماهيّة السيرة الذاتية المتخيّلة

تأخذ السيرة الذاتية المتخيّلة مادّتها الرئيسية من تركيب فنّين سرديّين هما السيرة الذاتية والرواية وتعيد صياغتها وفق قواعد جديدة مختلفة عن كلّ منهما. والسيرة الذاتية، يتمّ التركيز فيها على الفرد وذاتيّته، وهي تظهر كنوع من البوح يوجّهه المؤلّف إلى القارئ ويحدّده لوجون بأنّه سرد استعادي نثري يسرده شخص حقيقي عن وجوده ويركّز على حياته الشخصيةمن الناحية التقنيّة (Lejeune, 1996: 14). وهوعلى حد قول لوكارم كسائق لايسير إلّا إلى الوراء، فالزمن هو دائمًا الماضي (Lecarme,1997: 48).

من هذا النوع أي السيرة الذاتية يمكن الإشارة إلى كتاب "الأيّام" لطه حسين، و"البئر الأولى" لجبرا إبراهيم و"حصاد العمر"لتوفيق يوسف عوّاد، و"رحلة جبليّة صعبة" و"الرحلة الأصعب" لفدوى طوقان. في السيرة الذاتية، عندما يدخل اسم المؤلّف الرواية، يكون ذلك البيّنة الأساسية على أنّ النصّ يعود إلى مرجعيّة حقيقية. يأتي هذا الأمر في المعادلة التالية (Lejeune, 1996: 28):

(المعادلة بين المؤلف = الراوي = الشخصية الرئيسية)

وبهذا يستخدم الروائي خاصة ضمير "أنا" كأسلوب للسيرة الذاتية التقليدية كما تحدّث عنه الباحث الفرنسي المتخصّص في السيرة الذاتية فيليب لوجان، ولكنّه لا يستبعد أبدًا السيرة الذاتية التي تعتمد على غير ضمير المتكلّم كما يظهر في الجدول التالي (Lejeune, 1996: 18):

الضمير / النحو ← الهوية ↓	أنا	أنت /أنتِ	هو / هي
الراوي = الشخصية الرئيسية	سيرة ذاتية تقليدية	سيرة ذاتية في ضمير المخاطب	سيرة ذاتية في ضمير الغائب

عندما تكون شخصية الراوي هي الشخصية الرئيسية، والسرد بضمير المتكلم "أنا"، نكون أمام سيرة ذاتية تقليدية. وعندما يكتب الكاتب بصيغة "أنت"، تكون سيرة ذاتية في ضمير المخاطب، وعندما يكتب بصيغة "هو أو هي" تكون سيرة ذاتية في ضمير الغائب، كما جاء في كتاب "الأيّام" لطه حسين الذي يتحدّث عن الشخصية بكلمات مثل "الصبي" و"صاحبنا". يتحدّث جورج ماي عن درجات التشابه بين الروائي والشخصية الرئيسية، ويحدّد الدرجات بسبع

تبدأ بالرواية التاريخية وتنتهي بالسيرة الذاتية (Hubier, 2003: 87). في الواقع قدلاتخلو أيّة رواية من الحياة الشخصية لكاتبها. والسيرة الذاتية للمؤلّف هي ضعيفة جدًّا في الرواية التاريخية، ولكنّها كاملة في السيرة الذاتية.

فيليب لوجون في مؤلّفه الشهير "ميثاق السيرة الذاتية" وفي حديثه عن السيرة الذاتية يتساءل بالنسبة إلى نوع من الكتابة يبقى غامضًا، كما سيُظهر في الجدول التالي (Lejeune, 1996: 28):

اسم الشخصية الرئيسية ← الميثاق / العهد ↓	≠ اسم المؤلف	= صفر	= اسم المؤلف
رواية	رواية	رواية	.....؟ .....؟

ولكنّ المشكلة هي عندما يُذكر على الغلاف "رواية" ويكون اسم المؤلّف هو نفسه اسم الشخصية الرئيسية، فنحن إذن حيال مساحة غامضة كما في الجدول، فهل هذه سيرة ذاتية أم رواية؟ لأنّه في الرواية لا يكون اسم المؤلّف هو نفسه اسم الشخصية الرئيسية. وعلى هذه الإشكالية توقّف دوبروفسكي[1]؛ وانطلاقًا منها أعطى اسم "اتو فيكسيون" أي السيرة الذاتية المتخيّلة، وهو يبحث في طبيعة هذا النوع من الرواية، إذ يعتبر أنّ السيرة الذاتية المتخيّلة هي نوع من ميثاق حقيقة ولكن مع الاقتناع التامّ بأنّها رغبة ونيّة وليست حقيقة. وتبقى دائمًا نوعًا هجينًا وغير ثابت يجمع بين المتخيّل والمرجعية الذاتية؛ وبجمعه بين التخييل والمرجعية يجعل من الصعب التمييز بسهولة بين الشخصية الموجودة في الحكي والسرد وبين الشخص الذي يحكي إذ يظهر هذا الأخير في النصّ.من هنا كان الشبه أيضا بين السيرة الذاتية المتخيّلة والسيرة الذاتية الروائية (Hubier,2003: 122).

إنّ السيرة الذاتية المتخيّلة مساحة جديدة ومتميّزة في الحقل الروائي المعاصر، وهي حسب دوبروفسكي فنّ الاضطراب والبلبلة، نرى فيها قواعد السيرة الذاتية، ولكنّها قواعد مبلبلة ومضطربة. وما يجمع بين هذه الكتابات هو أنّ "أنا" الراوي لا تعيد القارئ إلى مرجعية واحدة في النصّ كلّه (ibib,2003: 122). في السيرة الذاتية المتخيّلة أو المتوهّمة يختلق الكاتب شخصية جديدة

1. Serge Doubrovsky

ووجودًا جديدًا مع احتفاظه بهويّته الحقيقية وباسمه الحقيقي. وحسب كولونا[1]، هي الكتابات التي يخلق فيها الكاتب لشخصه وجودًا جديدًا مع احتفاظه بهويّته الحقيقية (ibid, 2003: 122).

٤. أبرز مكوّنات السيرة الذاتية المتخيّلة في"ألواح"

جاءت رواية "ألواح"كسيرة ذاتية متخيّلة يعالج فيها الكاتب مواضيع متعدّدة، على الصعيد الشخصي والعائلي والاجتماعي. وتشمل عناصر ومكوّنات تمتاز بها في اللوحات المختلفة، أبرزها: مزج الخيال والواقع والحركة بين الأنا الحقيقي والأنا الرواي، الجرأة في سرد الوقائع، والهزء والسخرية من الذات.

فحسب قول رشيد الضعيف، منطق السيرة الذاتية المتخيّلة هو في الغموض النرجسي الذي يجمع الحقيقة وطريقة عرض هذه الحقيقة. وهي طريقة لجذب القارئ إذ يعطي الكاتب شيئًا من حياته في أسلوب خيالي (الضعيف، ١٩٩٩: ٤).

٤–١. بين أنا الروائي الحقيقي وأنا الرواي

يتحدّث رشيد الضعيف في روايته بلسان أنا البطل، والبطل هذا له دور أساسي وفعّال خلال أحداث الرواية (عبداللهي، ١٣٨٥ش: ١٣٣).ويروي البطل أحداث الرواية من زاوية داخلية لأنّه هو الشخصية الرئيسة في الرواية ولا يمكنه سرد الأحداث من الخارج. حينئذ تصبح الرواية مجالاً لعرض تأثّرات البطل وأحاسيسه الداخلية وتمنّياته (ميرصادقي، ١٣٦٤ش: ٤١٤).

يبدأ الكاتب روايته بالتعريف بنفسه، باسم عائلته "الضعيف"، بوالده ومهنته، بأمّه القويّة ومزاجها، وخلال هذا التعريف يعطي انطباعًا شخصيًا حول نظرتنا اليوم إلى الأرض وصغرها. وهذا انطباع شعري أكثر ممّا هو واقعي، حتّى في تعريفه بعائلته يقول إنّ مهنة والده هي الحلاقة دون أن ندري بالضبط هل هي فعلاً مهنته الحقيقية. ولكن في طريقة سرد الرواية يوهمنا رشيد الضعيف أنّ كلّ ما يقوله حقيقة لا شكّ فيها خصوصًا وأنّه يمنح الراوي اسمه الحقيقي أي رشيد الضعيف، فتتمّ هنا المعادلة كما رأينا في السيرة الذاتية بين الروائي والراوي والشخصية الرئيسية. وهذا من أهمّ خصائص السيرة الذاتية المتخيّلة كما يبيّن لنا جدول لوجان وتفسير دوفستوفسكي أنّه بالرغم من أنّ الميثاق هو رواية

1. Vincent Colonna

ولكن اسم المؤلّف يطابق اسم البطل وهو "رشيد" واسم عائلته "الضعيف" أيضًا.وهذا ما يطابق تمامًا اسم المؤلّف المذكور على الغلاف. وفي كلّ الرواية "الأنا" هي رشيد. فلها من هذه الناحية مرجعيّة واحدة. مثال ذلك عندما يخاطبه جدّه: "رشيد! رشيد الرشّود! غنّ!" ونشاهد ذلك في أكثر من موضع من الرواية (الضعيف، ٢٠١٦: ٤٧).

حتّى في اللوح الثامن الذي يمكن اعتباره المشهد الأوّل من الناحية الفنّية لصياغة الرواية، عندما يروي لنا تحت عنوان العشاء، ذهاب أمّه وأبيه إلى المطعم لأكل الدجاج المشوي الذي كان حديثًا في لبنان يومها، فروايته لهذا المشهد مع وصف الوالدين وأولادهما الذين تركوا البيت وذهبوا لمراقبتهما، تمزج الحقيقي بالروائي. فتقنيّة السرد هنا هي تقنيّة روائية محضة ولكنّها محمّلة بالسيرة الذاتية التي تدعونا لقراءتها وكأنّها حقيقة.

وبهذه الطريقة أي استخدام أنا البطل لسرد الرواية، يطلق الروائي العنان للراوي، الشخصية الرئيسة ويتركه حرًّا لإظهار مكنونات الشخصيات الأخرى وانعكاس أفكارهم أيضًا؛ كما أنّه بإمكانه أيضًا أن يختصر السرد أحيانًا أو يطوّله كما يحلو له (اخوت، ١٣٧١ش: ١٠٩).

يوهم رشيد الضعيف القارئ من خلال روايته بأنّه يتحدّث عن نفسه في الأحداث المتعدّدة التي تقع في حياة البطل، إلاّ أنّ الحقيقة عكس ذلك في العديد من الأحيان. يبدأ روايته بلوح بعنوان "حقيقتي"، يقول فيه:

> *«يظنّ الذين يعاشرونني أنّني أعرف نفسي جيّدًا، وأنّني كلّ ما أريده وما لا أريده، وأنّني أدرس بعناية كلّ ما أقوم به، وأخطّط له بدقّة وأنفّذه بلا تردّد... يظنّون أنّني قبل النوم أخلع بنطلوني وأطويه وأعلّقه بتأنّ لأحافظ على "كسرته"،... ويظنّون أنّني أغسل جوربيّ وثيابي الداخلية، كلّ مساء، كفتاة مهذّبة... ويظنّون أنّني آكل على الوقت، صبحًا وظهرًا ومساءً... ويظنّون أنّني أنهض من الفراش كلّ صباح وأتوجّه إلى المطبخ وأشرب كوبًا من الماء من قنّينة خارج البرّاد، كما أوصتني معلّمتي حين كنت صغيرًا. لكنّ الحقيقة أنّ لا أحد يعرفني على حقيقتي، ولا أحد يعرف ماذا أُخفي ماذا أبطن، بحيث أنّ الذين يعاشرونني إذا ما رأوا بالعين ما أُظهر فبالعين فقط يرونه، أي إنّهم لا يدركون حقيقة ما يُخفيه الظاهر»* (الضعيف، ٢٠١٦: ٦).

لا يخفى على القارئ أنّ العناصر التي يشير إليها الراوي هنا ليست سوى عناصر سطحية لا تكشف أبدًا عن جوهره وعن عمقه النفسي والأخلاقي والعنوان الذي أعطاه الراوي لهذه اللوحة "حقيقتي" يهدف إلى إبهام القارئ بالحقيقة والابتعاد عنها في آن واحد. فأين الحقيقة بعد قراءة هذا المقطع؟

يصبح "أنا" البطل عالما شاملاً بكلّ القضايا التي ترد في الرواية وله إشراف تامّ على ما يجري حوله وعلى جميع عناصر الرواية، ليكون بإمكانه شرح حياته هو وحياة الشخصيات الأخرى الروائية وسرد أحداثهم أو ذكرياتهم.

من أبرز ميزات هذا النوع من السرد هو شعور الراوي بالقرب من الوقائع التي يرويها، لأنّه إحدى الشخصيات التي تعرف الأحداث بشكل كامل وله علاقة وثيقة وقريبة مع شخصيات الرواية (بيرسي لوبوك، ٢٠٠٠: ٦٠).

يحاول البطل الحصول على اعتماد القارئ ليؤمن بصدق روايته ويقنع القارئ بأنّ الحقيقة هي ما يرويه الراوي، أي «يختصر الراوي مسافته مع المخاطب إلى أقلّ حدّ ممكن ليزول أيّ شبهة في صحّة كلامه في ذهن القارئ. ومتى حصل أيّ شكّ، يتوجّه الشكّ هذا نحو الروائي وليس الراوي» (جنيت، ٢٠٠٠: ١٨٣).

مثال ذلك، عندما يتحدّث الكاتب عن وفاة عمّه في المهجر، وأنّ أخاه أصرّ على نقل جثمانه إلى لبنان ودفنه فيه، بالرغم من أنّه لا توجد علاقة وثيقة بينالعمّ وبين أخيه في لبنان. يقول:

> *«لم يحدث في لبنان أن استُقدمت جثّة مغترب لدفنها في الوطن إلّا جثّة عمّي!... قلنا له أيضًا: نقيم مجلس عزاء ونقيم قدّاسًا لراحة نفسه. وإنّ هذا ما يفعله الناس. ونرسل صوَرًا لعائلته هناك، لابنه وابنتيه الذين لا علاقة لنا بهم على الإطلاق»*
>
> *(الضعيف، ٢٠١٦: ٧٤).*

وهنا يسترسل رشيد الضعيف في وصف هذا الحدث في الرواية ويجعلنا نتساءل هل أنّ الأمور جرت فعلاً على هذا النحو في الواقع أم أنّ السرد جاء ليؤكّد على عادة لبنانية وخاصّة في شمال لبنان تقضي بجمع العائلة حتّى بعد الوفاة. وهنا لا شكّ في أنّ الخيال لعب دورًا في السرد.

واستخدام ضمير المتكلّم وحده يساعد الروائي في قبول الأحداث من قِبل المخاطب، لأنّه يتحدّث عن الأحداث التي وقعت له شخصيًّا، وهذا الأمر يزيد من نسبة القبول من قبل القارئ. وهذه التقنية درجت كثيرًا في الرواية الحديثة لأنّها «تشمل كلّ ما يوجد داخل الشخصية وأبعادها النفسية، أي تهتمّ

بالذات الإنساني وتجعله أساس العالم ومحوره» (لحسن، ١٩٩٤: ١٢٤).كما يقول رشيد الضعيف: «ومرّة أرسلتني أمّي عندها. لم يكن للبيوت أجراس في ذلك الوقت، فدخلتُ وناديتُ باسمها، فجاء صوتها من وراء البيت: رشيد!...» (الضعيف، ٢٠١٦: ٧٢-٧٣). وبهذه الطريقة يصبح الراوي محور العلاقات الموجودة بين شخصيات الرواية ويتحدّث عن تجاربه وعواطفه وذكرياته أو يفكّر بها.

ويعبّر الراوي عن وجوده بضمير "أنا" ليثبت حضوره القويّ خلال الرواية، وهذا الأمر يتمّ بشكل بسيط واضح أحيانًا وبشكل مبهم أحيانًا أخرى (فلكي، ١٣٨٢ ش: ٤٣).

عند استخدام "الأنا" في الرواية نشعر بأنّ الكاتب والروائي غائب، إذ يتمّ سرد الأحداث والأحاسيس من خلال الراوي بشكل مباشر، لذلك قد لا يشعر القارئ بحاجة إلى تركيب المشاهد من قِبل الكاتب أو إرشاده بها (ميرصادقي، ١٣٧٦ش: ٣٧٠). ويتصفّح أنا الراوي في ذهنه مزيجًا من الأحاسيس والأفكار والذكريات بشكل سريع وبدون مراعاة الخطّ الزمني والمكاني ويتعرّف القارئ على هذه الأفكار الآنية للشخصيات وتفاعلهم مع محيطهم. وهذا يطابق ما أشار إليه ميشال بوتور إلى صعوبة تقديم الأحداث في الرواية وفق ترتيب خطّي مسترسل، ويرى أنّنا لا نعيش الزمن باعتباره استمرارًا إلاّ في بعض الأحيان (بوتور، ١٩٧١: ١٠٢). لذلك كلّه يصدّق القارئ بأنّ راوي الرواية هو شخص له وجود خارجي حقيقي ويتحمّل مسؤولية أفعال الرواية ويسرد الأحداث كأمور حقيقية حصلت بالفعل (مكاريك، ١٣٨٣ش: ١٣٣). لأنّ هذا النوع من السرد يعطي حكمًا قاطعًا لفضاء الرواية فيجعل القارئ يتفاعل مع أحداث الرواية ومع الشخصيات وذهنياتهم.

ومن هذه الألواح مثلاً فصل زواج جدّه. هنا من المؤكّد أنّ الكاتب لم يكن شاهدًا على زواج جدّه ولكنّه يروي ذلك وكأنّه هو الذي عايش الحادثة، علمًا أنّه أخذ إمّا عن لسان جدّه وإمّا عن لسان الآخرين. وهنا لا نعرف تمامًا نسبة الحقيقة من الخيال. (الضعيف، ٢٠١٦: ٤٧)

والمونولوغ الداخلي[1] هو تعبير بصيغة أنا المتكلّم عمّا تعيشه الشخصية من أحداث وما تشعر به من أحاسيس. وتتساءل الشخصية من خلاله عمّا تشعر به من مشاعر متضاربة، وتعبّر به عمّا في داخلها من تمزّق أمام ضرورة اتّخاذ قرار ما. في هذه الحالة يكون المونولوغ الإطار الذي يعبّر به عن الصراع الوجداني[2] (إلياس وقصّاب، ٢٠٠٦: ٤٩٤).

1. Internal Monologue
2. Dilemme

على سبيل المثال، في المقطع التالي يتحدّث الراوي عن شخصيته الداخليه بشكل حتمي يوهم القارئ بصدقه. يقول في حديث داخلي عن صديقته: «تساءلت عن السبب الذي دعاها إلى القيام بتلك المبادرة. ألا أكفيها محدّثًا ورفيقًا؟» (الضعيف، ٢٠١٦: ١٢١). ويضيف في مكان آخر: «لا يصلح هذا التصرّف مع شرقي عربي من جبل لبنان. لا، لا يصلح هذا التصرّف مع رجل يعنيه أن يكون رجلاً، وأن يحمي ساحته أثناء وجوده فيها وأثناء غيابه» (السابق، ص ١٢٩).

كما نرى أنّ المونولوغ الداخلي للراوي هو الذي يكشف عن أفكاره وهويّته وشخصيّته، كما يكون بإمكانه تجسيد هويّة شخصيات أخرى أيضًا. ونجد أنّ صراع الراوي المونولوغي يتمثّل في الصراع مع نفسه وماضيه أكثر من العالم الخارجي وباقي أفراد مجتمعه. ويلجأ إلى المونولوغ الداخلي كطريقة للكشف عمّا في داخله أمام القارئ لإلقاء القارئ بصدقية ما يفكّر أو يشعر به.

٤-٢. الالتزام

يعني الالتزام أن يشارك الأديب الناس همومهم ومعاناتهم الاجتماعية والسياسة أو مواقفهم الوطنية، و«يقوم الإلتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتّخذه المفكّر أو الأديب أو الفنّان فيها. وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحًا وإخلاصًا وصدقًا واستعدادًا من المفكّر لأن يحافظ على التزامه دائمًا ويتحمّل كامل التبعة التي يترتّب على هذا الالتزام» (أبوحاقة، ١٩٧٩: ١٤). وقد يتطلّب هذا الالتزام إنكار الذات في سبيل ما التزم به الكاتب.

جاءت رواية "ألواح" لرشيد الضعيف لتكون التزامًا اجتماعيًا في طريقة فنّية جديدة لمعالجة مشاكل فردية واجتماعية لمجتمع يعاني فيه الفرد من قيود مجتمعية. والميزتان الرئيسيتان لهذه الطريقة الجديدة الجرأة العالية والسخرية من ذاته.

يقول جورج ماي إنّ دوافع استعادة الذكريات والبوح بها هي دوافع عقلانية أحيانًا كالرغبة في التبرير، والإدلاء بشهادة، أو عاطفية كالرغبة في التباري مع الزمن، وفي عثور المرء على معنى لوجوده (الشيخ، ٢٠٠٥: ١١).

ويفصحرشيد الضعيف في روايته عمّا في داخله ويراجع ذاكرته حتّى يكشف عمّا يجري فيه، ليُظهره في كتاباته وصولاً إلى إظهار التزامه بالنسبة إلى مجتمعه، كما يقول في أحد حواراته:

«الكتابة لا شكّ "اعتراف". و بوح وإقرار، لكنّها ليست اعترافاً بالمعنى الديني. لا أظنّ أنّ الدافع لهذا الكتاب هو شعور بالذنب. إنّه تفكيك لقيم نعيشها ونجسّدها: القضية، الأبوّة، الأمومة، الحبّ، القرابة، الحداثة، التقليد، الغربة، الحنين إلى الجذور.. إلخ. أشعر بالحسرة، بالأسى وبالصدمة من هذا العالم. السياسة أحرقتني. تجربة الحرب جعلتني أكتشف أننا لسنا سوى عملاء تافهين للتاريخ. كنّا نظنّ أنفسنا نبني مجتمعاً جديداً سيحرّر فلسطين، وإذ بنا نكتشف أننا في مكان آخر، ندمّر بعضنا البعض. التاريخ كائن بهيمي، لا يمكن لأحد أن يفهم اتّجاهه أو طبيعته، ولا هو ذاته يعرف نفسه. لذلك، يجب أن نكون ديموقراطيين، لأننا كلّنا في العتمة» (الضعيف، ٢٠١٦: حوار).

أمّا الكتابة بالنسبة إلى رشيد الضعيف، فإضافة إلى التزامه السوسيولوجي، تعني علاجًا للأزمات النفسية التي يعانيها الكاتب، كما يقول في "ألواح":

«قد تكون الكتابة نوعًا من العلاج للأزمات النفسية التي يعانيها الكاتب، وقد تكون الكتابة شهادة وقد تكون صرخة، وقد تكون فعل إذلال للنفس أو فعلاً مجّانيا أو تمرينًا على شيء ما» (الضعيف، ٢٠١٦: ١٥٨).

يبدو أنّ أحد العوامل التي تجعل الكاتب يلجأ إلى اتّخاذ أسلوب السيرة الذاتية المتخيّلة في الرواية بشكل عامّ، وأسلوب "الأنا" بشكل خاصّ، هو أنّه يحاول الوصول إلى نقطة التقاء اجتماعي من أجل التقرّب من المخاطب، من خلال التحدّث ليس كشخصيّة غائبة بل كشخصيّة ترافق المخاطب وتنسجم معه. وهكذا يصبح بإمكانه إيجاد مساحة قريبة في تشكيل العلاقة مع القارئ. وبطبيعة الحال، قد يرتبط اتّخاذ هذا الأسلوب من جانب الكاتب، بضروريّات الحياة الاجتماعية عند الناس.

٤-٣. الجرأة

أصبحت السيرة الذاتية المتخيّلة اليوم نموذجاً أدبيًا محدّدًا يتميّز بخصوصية تحاول مرافقة العصر. وفيها يضطرّ الكاتب «إلى إنجاز مشروع الصدق المستحيل باستعماله لكلّ الأدوات الروائية، ذلك أنّ السيرة الذاتية المتخيّلة ما هي إلاّ حالة خاصّة للرواية، أو هي شكل روائي خاصّ وليست شيئًا خارجًا عنها» (هدى، ٢٠٠٣: ٧٨).

إن الكتابة الحميمية بشكل عام تفتح المجال واسعًا أمام الروائي كي يتطرّق إلى أمور تعتبر عادة من المواضيع المحرّمة أو التابوهات التي لا يجوز البوح بها في الكتابة. والسيرة الذاتية المتخيلة التي تنتمي إلى الكتابة الحميمية تدخل تمامًا في هذا الاطار. فهي من خلال اعتمادها شكل السيرة الذاتية تدفع الراوي إلى البوح الجريء بالخصوصيات الحميمية، وتعطيه حرّية الكلام كأنّه يناجي نفسه بعيدًا عن الضوابط التي يفرضها المجتمع. والجدير بالذكر أن هذا النوع من الكتابة هو وراء العديد من الروايات الحديثة التي لا تمتنع عن تسمية الأشياء بأسمائها، وذلك دون أي تمييز بين الروائيين والروائيات.

ونشير في هذا المجال إلى أنه بالرغم من بداية ازدهار كتابة السيرة الذاتية في العالم العربي، إلاّ أنّ هذا الشكل الأدبي لا يزال يواجه محذورات تفرضها الثقافة الشرقية، إذ يعتبر المجتمع الشرقي الحياة الشخصية حريمًا ممنوعًا، فنتيجة لذلك قد تفتقد السيرة الذاتية أحد أهمّ مقوّماتها التي تعتمد على الصدق في سرد التجارب الإنسانية الحقيقة للكاتب. فلذلك نراه يقدّم عادة أجزاء من سيرته في قالب الرواية لتجنّب نقد مجتمعه ورقابته، ومن ثمّ يمزج روايته بالخيال.

ومن هذا المنطلق، تأتي رواية "ألواح" وكأنّها سيرة حياة جزئيّة متجزّأة من مراحل مختلفة من حياة الكاتب، إضافة إلى أنّها تتّصف بجرأة عالية في سرد الأحداث والوقائع من جهة وفي تعبير الأحاسيس والمشاعر من جهة أخرى، وبشكل عامّ طرح أمور متعلّقة بالجنس أحيانًا وبالمجتمع أحيانًا أخرى بشكل درامي وروائي دون أي تستر. تظهر هذه الجرأة منذ رؤية عتبة من عتبات النصّ أي في غلاف الكتاب الذي يتضمّن قول الكاتب عن تاريخ مولده. يقول: «انفجاران حدثا في الوقت نفسه في ٦ آب (أغسطس) ١٩٤٥: انفجار القنبلة الذرية التي ألقيت على هيروشيما وانفجار رحم ياسمين (والدة الكاتب) فولّدت رشيد». فطريقة السرد هي طريقة روائية سردية وشعرية يتعدّى فيها الكاتب أسلوب السيرة الذاتية إلى الأسلوب الوصفي الانطباعي، والذي تعتمد على المبالغة أيضًا.

أما الملاحَظ في هذه الجرأة فهو أنّ طرح القضايا لا يأتي بشكل وعظي مؤدلج، بل تقدّم الرواية رؤية ذاتية حادّة لتفاصيل الفرد والمجتمع، وتتوقّف عند معاناة فردية واجتماعية تختلطان ببعضهما أحيانًا. يتّصف الراوي بجرأة في تسمية الأشياء بأسمائها التي قد تشكّل خجلاً عند الآخرين، إلاّ أنّ

الجرأة في الرواية ليست من أجل الجرأة فحسب، بل لكسر إعاقة اجتماعية أو تابوهات مجتمعية.

ويبتعد رشيد الضعيف كباقي الروائيين أمثاله، عن أدبيّات سياسيين ومفكّرين ومثقّفين في طرح قضايا مجتمعه التي يراها أنّها بحاجة إلى التغيير. ويُدخلنا الراوي في حميمياته من خلال علاقته بالآخرين من الحبيبة والأم والأب وأبناء بلدته. وبذلك يكون قد تمتّع بلغته الحرّة وذاتيته المفرطة.

٤-٤. الهزء والسخرية من الذات

من الميزات الرئيسة في تشكيل الرواية عند رشيد الضعيف هو الهزء والسخرية من الذات، حيث نجد الراوي يتّبع طريقة سرد الأحداث والتعبير عن المشاعر والأحاسيس بأسلوب ساخر تجاه نفسه. وكثيرًا ما يتحدّث عن نفسه كنموذج لسذاجة ساخرة.

تظهر الشخصية الرئيسة ساذجة وبسيطة أحيانًا، تقع تحت الظلم، وكأنّ الراوي يبرّر الظلم والقهر الواقعَين على نفسه بسبب سذاجته. ومن خلال هذه السذاجة يفقد خصائصه الإنسانية؛ الأمر الذي يدعو الراوي للسخرية من ذاته في علاقته مع الآخرين أو في مشاعره الذاتية. وبهذه الطريقة الساخرة أيضًا يظهر الروائي كملتزم اجتماعي بطريقة مختلفة ساخرة، ليس من خلال البطل القوي والإيجابي بل من خلال البطل الساذج الضعيف السلبي (Boustani, Parchekani, 2016: 62).

ونظرًا لأنّ نهج الكاتب فى رواية "ألواح" هو نهج سوسيولوجى ويعتبر نفسه قسمًا من المجتمع الإنساني، فاختار اسمه كاسم الشخصية الرئيسية. وهذا الأمر قد يكون ناتجًا عن تأثره بالمجتمع اللبناني، وهو أحد أفراد هذا المجتمع الذي عاش مشاكل كبيرة أبرزها الحرب الأهلية والمصائب الناتجة عنها القتل على الهوية. وكان الكاتب كما ذكرنا سابقًا قد ذاق طعم رصاص الحرب مباشرة ونجا منه.

يُعتبر الوجه الاجتماعي للإنسان، وتعامله مع المجتمع وتأثّره به من أبرز العناصر التي حظيت باهتمام الباحثين والنقّاد في المجالات المختلفة؛ كما أنّ في مجال النقد الأدبي، أدّى هذا الموضوع إلى إيجاد النقد الاجتماعي للأثر الأدبي أو السوسيولوجيا الأدبية. وبشكل خاصّ، يدخل إلى مرحلة جديدة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وبتأثير من تعاليم هيغل وتنظير منظّرين كجورج لوكاتش ولوسين غولدمن وغيرهما. المرحلة التي يعتقد فيها منظّرو النقد السوسيولوجي بأنّ النصّ الأدبي من شعر ورواية هو متأثّر بالمجتمع أكثر من أن يكون من صنع الفكر المبدع للكاتب. ويرون بأنّ قدرة خالق الأثر تكمن في انعكاس هذه المعلومات الاجتماعية.

وفقًا للنقد السوسيولوجي للنصّ الأدبي، يأخذ الكاتب مضمون روايته من المجتمع ويحاول ترسيم جوّ يمكن للمخاطب أن يجرّب مثيله في عالم الحقيقة. ولهذا السبب تحظى الروايات الاجتماعية باهتمام القرّاء بشكل عامّ.

وفي رواية رشيد الضعيف، نرى أنّ الاتّجاه الاجتماعي للكاتب يظهر بقوّة ويلعب دورًا فعّالًا في خلق جوّ قريب من القارئ، حيث يمكن للقارئ أن يلمس بوضوح الشخصيّات والمضمون الغالب والأمكنة والأزمنة. ولذلك نادرًا ما يلجأ الروائي إلى المفاهيم الانتزاعية وصور غير واقعية. وهنا يصل الكاتب إلى ذروة الالتقاء مع المخاطب حيث يشعر باتّحاد مع الشخصية الرئيسية في الرواية. إذن، لا يكتفي بأخذ موضوع روايته الرئيسي من تجاربه الحقيقية، بل بإعطاء اسمه الحقيقي إلى الشخصية الرئيسية وانعكاس بعض من أحداث حياته في الرواية، يعزّز هذا الانسجام بينه وبين القارىء. وبالطبع، يمكن البحث عن هذا الانسجام في تأثّره بمجتمعه.

أبرز نماذج السخرية من الذات، يأتي في سخريّة الكاتب من اسمه العائلي وهو "الضعيف". ويعبّر عن أزمة الاسم واللقب. والاسم هو "رشيد" الذي يذكر بأنّه لا أحد يدلّعه باسمه كما هو دارج في البيئة العربية واللبنانية. أمّا اللقب أي الضعيف، فيعتبر بأنّ قدره الذي جعله يحمل هذا اللقب، يُجبره أيضًا أن يتحمّل الضعف والعجز والنقصان الناتجة عنه. وأزمة اللقب يطارده منذ طفولته في المدرسة إلى أن أصبح أستاذًا في الجامعة. يقول:

> *«وأوّل مرّة انتبهت إلى أنّ لي اسم عائلة، كنت في الثامنة أو التاسعة من عمري، وقد اصطدمت بأحد التلاميذ الذي كان "عائلة" نحن أخصامها. قالي لي أثناء مشادّة كلامية تحدّاني فيها وتحدّيته: "بضعّفك يا ضعيف!" فاضطربتُ من تهديده، لا خوفًا منه بالتأكيد، بل من اكتشافي أنّ لي اسم عائلة، وفوق ذلك اسم عائلة يمكن استعماله ضدّي... ظننتُ وقتها لا شكّ أنّ الأسماء يختارها الآباء وأنّ أبي اختار لنا اسمًا غير مناسب، يسهل على الأعداء استعماله ضدّنا. ولم أكن بعدُ عشتُ حرب لبنان، ولم أكن أدركت بعد أنّ الأسماء جزء من نظام بلاغيّ شامل. من نظام بلاغي داهية وخبيث» (الضعيف، ٢٠١٦: ١٢-١٣).*

يدلّ هذا المقطع إلى جانب السخرية من الذات، على النقد الاجتماعي ونقد مجتمع الحرب في

لبنان الذي كان يعامَل فيه الفرد وفقًا لاسمه وليس وفقًا لشخصيّته لأنّ من خلال الاسم كان يتمّ التعرّف على الطائفة. انطباع الكاتب هنا انطباع صادق ولكنّه يلمّح هنا إلى الحرب الطائفية اللبنانية بحيث أنّ القتل كان على الهويّة، وكان الاسم وحده يُظهر طائفة حامله. من هنا قال إنّه من نظام بلاغي داهية وخبيث.

ومشكلة اسم العائلة هذه تطارده في أيّام الجامعة أيضًا، إذ يواجه سخريّة زملائه في المدرسة عندما ينادي الأستاذ الطلاّب بأسمائهم:

> *«الدكتور نزار الزين، أستاذ علم النفس في كلّية الآداب في الجامعة اللبنانية قبل تقسيمها إلى فروع بُعيد اندلاع الحرب الأهلية، كان يسجّل الحضور في أوّل درس في السنة. كان الصفّ مكتظًّا بالطلاّب، مئةٌ ربّما أو أكثر، فالمادّة إلزامية في السنة الأولى لجميع الاختصاصات. وكان يقرأ الاسم فيرفع الطالب يده وينظر إليه الدكتور نزار فيسأله شيئًا أو لا يسأله، وكان الصفّ ينفجر بالضحك عندما ينادي باسم غريب أو طريف. ثمّ نادى باسمي، فانفجر الصفّ بالضحك انفجارًا سمعه ربّما الحيّ كلّه...»* (*السابق: ١٣*).

لكن مسألة اسم العائلة لا تنتهي هنا، بل تستمرّ وصولًا إلى أن أصبح رشيد الضعيف أستاذًا في الجامعة، بل وازدادت سوءً بالنسبة إلى ما كان عليه في طفولته أو شبابه:

> *«لكنّ انتصاري على زملائي وعلى أستاذي كان أسهل عليّ من الانتصار على طلاّبي. فعندما دخلت إلى الصفّ كأستاذ، أوّل مرّة في كلّية الآداب في الجامعة اللبنانية، وعرّفت عن نفسي، رأيت ابتسامات ترتسم على وجوه عدد من الطلاّب (على وجوه الذكور أكثر ممّا على وجوه الإناث)...»* (*السابق ١٤*).

وبالسخرية من ذاته ومن اسمه العائلي، يسخر من العائلة بشكل عامّ. وتتعدّى السخرية هذا الحدّ لتصل إلى التهكّم من وضعه الذي يربطه بالآخرين.ويرى الراوي نفسه في مرآة الآخرين، ويصبح هو العربيّ الذي يحبّ امرأة أجنبية في باريس، ومن ثمّ يلحق بها في الولايات المتّحدة الأميركية، بالرغم من أنّه لا يستطيع الخروج من عادة الرجل الشرقي، ولا يستطيع إخضاع امرأته للعادات والقوانين الشرقية.وهنا يطرح موضوع المفارقة المستمرة بين الثقافتين الشرقية والغربية وطريقتهما المختلفة في العيش.

كما أنّ الراوي يذكر أمور أكثر حميمية وهي المتعلّقة بوالديه ليتحدّث عن إخفاقات أبيه وجدّه وأسرار أمّه ويسخر منهم الذين يعتبرهم جزءًا من ذاته الذي يسخر منه. أمّا السخرية من ذاته كرجل تربّى بتربية شرقية قروية لا تؤمن بالمساواة بين الرجل والمرأة في بعض الأمور، فتأتي عندما يعتبر أنّ دعوة أبيه أمَّه إلى المطعم خرق لقوانين الطبيعة. وبهذا ينتقد نفسه وينتقد مجتمعه الذكوري الذي يفرض على الأمّ أن تلزم البيت للاهتمام بالأولاد فحسب وعدم الخروج من البيت. يقول:

«لماذا أراد والدُنا سلبَنا والدَتنا ذلك المساء؟ لماذا ألقى قنبلةً وسط البيت؟ لماذا أراد والدي ضعضعة قوانين الطبيعة المستقرّة منذ خلقها الله على هذه الصورة؟ كرهتُه تلك الليلة وكرهه إخوتي جميعهم» (*السابق*: ٢٦).

والسخرية من الذات تشمل السخرية من مجتمعه الذي يعتبر الراوي نفسه جزءًا منه، ويعبّر عن الظلم الموجود في البيئة العربية واللبنانية خاصّة خلال الحرب الأهلية اللبنانية، ويحاول لهروب وهميّ من هذا الظلم (Boustani, Parchekani, 2016: 62). إضافة إلى النظرة الساخرة لرؤية الراوي بالنسبة إلى المرأة كحبيبة وكأمّ. وهذه الرؤية تتعدّى الراوي لتصبح رؤية مجتمعه، ويعبّر عنه الراوي بشكل عكسي ساخر. على سبيل المثال إذا عبّر عن عدم ضرورة حرّية المرأة، يريد أن يقول في الحقيقة أنّه مع حرّيّتها.

وتصبح السخرية من الذات ناتجة عن الطريقة الجديدة من الالتزام الذي لا يوجد فيه بطل بل البطل المضادّ أو البطل السلبي وليس الإيجابي.

٥. النتيجة

□ تبيّن ممّا ورد في هذا البحث أنّ دخول السيرة الذاتية المتخيلة ضمن إطار الجنس الروائي، أصبح اليوم من القضايا التي تحظى باهتمام النقّاد، وتطرح إشكاليات متعلّقة بعالم اليوم من خلال قضايا التجارب الذاتية في الرواية وإيمام القارئ بالصدق في قولها، والعناصر التي تؤلّفها؛ كما أنّ الحديث عن الذات والأنا والجمالية الفنّية الناتجة عنهما، أصبحت مجال اهتمام الروائيين والنقّاد.

□ يتّخذ رشيد الضعيف من أسلوب السيرة الذاتية المتخيّلة وسيلة لإبراز التزامه السوسيولوجي تجاه مجتمعه من خلال الكتابة عمّا يعانيه الكاتب والمجتمع من الأزمات النفسية.

□ جاءت رواية "ألواح" كمزيج من الواقع والخيال يعالج فيها مواضيع متعدّدة، على الصعيد الشخصي والعائلي والاجتماعي. وتشمل الرواية عناصر ومكوّنات تمتاز بها في اللوحات المختلفة، أبرزها: مزج الخيال والواقع والحركة بين الأنا الحقيقي والأنا الرواي.

□ تبدو الرواية وكأنها سيرة حياة جزئيّة متجزّأة من مراحل مختلفة من حياة الكاتب، إلاّ أنّها تمتاز باتّصافها بالخيال، إضافة إلى تمتّعها بجرأة عالية في سرد الأحداث والوقائع، وفي التعبير عن الأحاسيس والمشاعر؛ كما أنّ الكاتب يتّبع طريقة الهزء والسخرية من الذات في سرد الأحداث.

المصادر

الف) عربي

كتب

أبو حاقة، أحمد (١٩٧٩)، **الالتزام في الشعر العربي**، بيروت، دار العلم للملايين.

ابوزيد، ساميوسف (٢٠١٤)، **الأدب العربى الحديث (النثر)**، الطبعة الاولى، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

إلياس، ماري، قصّاب حسن، حنان (٢٠٠٦)، **المعجم المسرحي**، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.

بوتور، ميشال (١٩٧١)، **بحوث في الرواية الجديدة**، ترجمة فريد أنطونيوس، بيروت، منشورات عويدات.

جينيت، جيرار (٢٠٠٠)، **خطاب الحكايه بحث فى المنهج**، ترجمه: محمد المعتصم و آخرين، ط٣، الجزائر، دار الاختلاف.

الشيخ، خليل (٢٠٠٥)، **السيرة والمتخيّل، قراءات في نماذج عربية معاصرة**، الطبعة الأولى، عمّان، أزمنة للنشر والتوزيع.

الضعيف، رشيد (٢٠١٦)، **ألواح**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الساقي.

لوبوك، بيرسى (٢٠٠٠)، **صنعة الرواية**، ترجمة: عبد الستار جواد، ط٢، عمان، مجدولاى للنشر و التوزيع.

ماي، جورج (١٩٩٢)، **السيرة الذاتية**، تعريب: محمّد القاضي، عبدالله صولة، قرطاج، بيت الحكمة، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات.

وادي، طه (١٩٨٩)، **دراسات في نقد الرواية**، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب

ب) الفارسية

اخوت، احمد (١٣٧١ش)، **دستور زبان داستان**، اصفهان، نشر فردا.

فلكى، محمود (١٣٨٢ش)، **روايت داستان (تئوری‌های پایه‌ای داستان‌نویسی)**، چاپ ١، تهران: بازتاب نگار.

مكاريک، ايرنا ريما (ش١٣٨٥)، **دانش‌نامه نظريه ادبى معاصر**، ترجمه: مهران مهاجر و محمد نبوى، چاپ ٢، تهران: آگه.

ميرصادقى، جمال (١٣٦٤ش)، **عناصر داستان**، چاپ اول، تهران: شفا.

---------- (١٣٧٦ش)، **ادبيات داستانى**، چاپ سوم، تهران: علمى و فرهنگى.

ج) الدوريات

خيرالله، أسعد (٢٠١٦/١/٨)، «ألواح رشيد الضعيف وبلاغة التعري»، **جريدة السفير الثقافي**، بيروت، ص ١٠.

الضعيف، رشيد (١٩٩٩)، «مقابلة»، **مجلّة الآداب**، الرقم ٣، مارس، ص ٤.

عبداللهی، منیژه (۱۳۸۵ش)، «شیوه‌های روایت‌پردازی در گلستان»، **مجله علوم اجتماعی و انسانی**، دانشگاه شیراز، دوره ۲۵، شماره۳، پیاپی ٤٨، صص ۱۳۳-١٤٦.

لحسن، كرومي (١٩٩٤)، «حول بعض المفاهيم في الرواية الجديدة، عدد خاصّ بعنوان "الرواية الجديدة العربية بين التجريب و المقاربة»، **مجلّة تجلّيات الحداثة**، جامعة وهران، معهد اللغة العربية و آدابها، العدد الثالث –يونيو، ص ١٢٤.

نصرالدين عبدالجواد دبيكي، إبراهيم (٢٠٠٩)، «**التعالق بين الروايةوالسيرة الذاتية**»، **مجلة كلّية الآداب**، جامعة حلوان، عدد٢٦٤.

هدى، نعيمه (٢٠٠٣)، «الكتابة المولودة حديثًا»، **مجلّة الثقافة المغربية**، العدد ٢٤– ٢٥، ص ٧٨– ٨٨.

د) مآخذ من الإنترنت

http: //www.rachideldaif.com/, 2016/10/18.

عبيد، محمد صابر (٢٠١٦)، "الرواية السير ذاتية المتخيّلة– من حدود الواقعي إلى فضاء العجائبي"، كتّاب العراق، ٢٠١٦/١/٢، http: //www.iraqiwriters.com/INP/view.asp?ID=3649

خودزندگی‌نامه نوشت خیالی و عناصر آن در رمان «الواح» رشید الضعیف

فاطمه پرچگانی *

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی

چکیده

رمان، روایتی است که عناصر اصلی خود را از زندگی واقعی یا خیالی وام می‌گیرد. خودزندگی‌نامه‌نوشت نیز روایتی است که نویسنده از زندگی خود ارائه می‌دهد. آنچه در این میان قابل توجه است، رابطه‌ای است که بین رمان و خودزندگی‌نامه‌نوشت وجود دارد که خود، موجب شکل‌گیری سبکی نو موسوم به خودزندگی‌نامه‌نوشت خیالی یا اتوفیکسیون در این نوع هنری می‌گردد. در حوزه زبان و ادبیات عربی، رشید الضعیف رمان‌نویس معاصر لبنانی در عمده نوشته‌هایش به این نوع رمان گرایش دارد. او در جدیدترین رمانش «الواح» با مرکز قراردادن زندگی شخصی خود از طرفی و مسائل اجتماعی و سیاسی جامعه از سویی دیگر می‌کوشد بین رمان و خودزندگی‌نامه‌نوشت پیوند برقرار نماید که ازجمله نشانه‌های این پیوند انتخاب نام رشید الضعیف برای شخصیت اصلی رمان الواح است. مقاله حاضر می‌کوشد با روش توصیفی- تحلیلی و از طریق اصول روایت‌شناسی به تحلیل عناصر رمان مذکور پرداخته، مصادیق حرکت نویسنده را بین من واقعی و من روایتگر بررسی نماید.

نتایج به‌دست‌آمده نشان می‌دهد رشید الضعیف با استفاده از تکنیک رایج در اتوفیکسیون با حرکت در مرز واقعیت و خیال، خویشتن را در برابر انتقادات متداول در جامعه شرقی عربی مصون می‌دارد و درعین‌حال توانسته‌است حوادث را به‌گونه‌ای هدایت کند تا تطابق کامل بین حوادث روایت و حوادث واقعی زندگی‌اش شکل نگیرد.

کلیدواژه‌ها: رمان؛ خودزندگی‌نامه نوشت خیالی؛ اتوفیکسیون؛ رشید الضعیف؛ الواح.

*نویسندهٔ مسئول: fparchegani@gamil.com